Adab Al-Rafidain

https://radab.mosuljournals.com

The Impact Of Rational Philosophy On The Modernist Reading Of The Noble Qur'an Critical Analytical Study

Meskeen Moath Kalil
Master's student / Department of Arabic Language / College of Languages / Salahaddin University - Erbil

Mohamed Abdallah Fathallah
Asst.Prof./ Department of Arabic Language / Fakalti / Soran University - Erbil

Article information

Article history:
Received December 14.2022
Reviewer January 2.2023
Accepted January 7.2023
Available online September1,2023

Keywords:
Philosophy
Rationality
Reading
Modernism
Quran

Correspondence:
Meskeen Moath Kalil
miskin.muadh@gmail.com

Abstract

This research attempts to show the extent of the impact of rational philosophy on the modernist reading of the Holy Qur'an, in terms of being a basis for the interpretation of the Quranic text in their discourses, and in terms of its validity for use as a research method. The research lists selected models of modernist readings and their interpretations for the Quranic verses, which they tried to explain in the light of the principles, ideas and concepts of rationality, And then discussing and criticizing them, and that is in two demands, the first was devoted to explain the concept of rational philosophy and its pillars, and to explain the philosophical and scientific gaps in them in a scientific and objective way, and the second was devoted to present models of modernist readings based on them and criticize them with rational scientific evidence, and then present the findings of the research.

DOI: 10.33899/RADAB.2023.180064, **©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.**
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

أثر الفلسفة العقلانية في القراءة الحداثية للقرآن الكريم
دراسة تحليلية نقدية

مسكين معاذ خليل* **محمد عبدالله فتح الله****

المستخلص :

يحاول هذا البحث بيان مدى أثر الفلسفة العقلانية في القراءة الحداثية للقرآن الكريم، وذلك من حيث كونها أساساً من أسس تأويل النص القرآني في خطاباتهم، ومن حيث صلاحيتها للاستخدام كمنهج للبحث، وقام البحث بسرد نماذج مختارة من قراءات الحداثيين وتأويلاتهم للآيات القرآنية، التي حاولوا تفسيرها في ضوء مبادئ ومفاهيم العقلانية، ثم مناقشتها ونقدها، وقد سلك الباحث في هذه الدراسة المنهج النقدي، وذلك بعد التحليل، وتكّون البحث من مطلبين، خصِّص الأول منهما لبيان مفهوم الفلسفة العقلانية وأهم ركائزها،

***طالب دكتوراه / كلية العلوم الاسلامية / جامعة صلاح الدين - اربيل**
**** استاذ مساعد /قسم اللغة العربية/ فاكلتي / جامعة سوران- اربيل**

وبيان الثغرات الفلسفية والعلمية فيها بشكل علمي وموضوعي، والثاني لعرض نماذج من قراءات الحداثيين المؤسسة عليها ونقدها بالدليل العلمي العقلي، ثم قام الباحث بعرض ما توصل إليه البحث من نتائج. منها: أن بعض الحداثيين بنوا قراءاتهم للقرآن الكريم على الفلسفة العقلانية-التي عجزت عن إثبات ذاتها عن طريق التجربة التي تدعي أنها المصدر الوحيد للمعرفة- ظناً منهم أنهم جاؤوا بجديد، لكنهم بدّلوا بدلَ أن يجددوا، وحرَّفوا بدلَ أن يؤولوا تأويلاً منضبطاً، ومنهجهم يتسم بالفوضى والاضطراب.

الكلمات المفتاحية: (الفلسفة، العقلانية، القراءة، الحداثية، القرآن الكريم).

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد: فقد لا يكون مبالغة لو قلنا: إنّ القرآن الكريم قد تعرض-ويتعرض- للدراسات والتأويلات والقراءات المختلفة منطلقاً، وآلية، وهدفاً أكثر من غيره من الكتب الأخرى السماوية منها والبشرية، لما يتمتع به من قوة التأثير، وسر الإعجاز، وسحر البيان، ووجازة اللفظ، ووفرة المعنى. ولئن كانت القراءات السابقة للقرآن الكريم إسلامية الأساس والهدف فإنَّ كثيراً من القراءات المعاصرة تتخذ من الفلسفات والنظريات والمناهج الغربية أساساً لها، وقد تكون صادقة النيات، إلا أن كثيراً من نتائجها يتعارض مع ثوابت الدين، وما علم من الإسلام بالضرورة، وما سار عليه سلف الأمة وخلفها، وقد يكون ذلك من جملة الإفرازات التي أفرزتها الحداثة الوافدة، التي توغلت في كيان الأمة الإسلامية الثقافي والأدبي والديني والفلسفي وغيرها.

وإنّ من تلك الفلسفات التي اتخذها كثير من أصحاب القراءات الجديدة أساساً لانطلاقتهم الحداثية في تأويل القرآن الكريم: العقلانية، حيث جعلوها ميزاناً يزنون به كل ما ورد في الكتاب والسنة والتراث الإسلامي، فما وافق عقلهم قبلوه، وما خالفه أوّلوه، أو رفضوه، ولا ريب أنّ الإفراط في استخدام العقل في النص- لا سيما القرآن الكريم، بعيداً عن هدي الوحي وإرشاد النبوة- قد يأتي بنتائج خطيرة، خصوصاً عندما تؤخذ تلك النتائج كمسلمات قطعية، وينبهر بها أناس لم يتعمقوا في العلوم الدينية عموماً، وما يتعلق منها بالقرآن الكريم على وجه الخصوص، مما قد يؤدي بكثير منهم إلى الزيغ عن الفهم الصحيح للقرآن الكريم، والانحراف في تأويله، لذا جاء هذا البحث ليعرض هذه الفلسفة ويحللها وينقدها، ثم يأتي بنماذج لبيان أثر الفلسفة العقلانية في قراءة الحداثيين لنصوص من القرآن الكريم وتحليلها ونقدها.

أهمية البحث:

تظهرُ أهمية هذا البحث في أنه يتناول بالتحليل والنقد فلسفة من أعرق الفلسفات في العالم، ولها حضور قوي في توجيه الإنسان فلسفياً، وفكرياً، ودينياً، وثقافياً، ولا سيما في العصور الأخيرة، إذ أصبحت مطية للحداثة لبسط نفوذها في العالم، ومحاولة إخضاع كل نواحي الحياة البشرية لهيمنتها، واستهدفت أكثر ما استهدفت النصوص الدينية، من حيث كونها تشكل أكبر مُحفِّز وموجّه لفكر البشر وسلوكه في العالم، ولا سيما في العالم الإسلامي، فضلا عمّا يتمتع به مصطلح العقلانية نفسه من البريق والجاذبية والفظاظة والرفض، والتضليل والخداع أحياناً.

إشكالية البحث:

ليست العقلانية-عموماً- ظاهرة جديدة غريبة في الفكر الإسلامي، بل لها جذور راسخة في التراث الإسلامي، واستمدت مشروعيتها من القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد اتخذ تفسير القرآن الكريم نفسه شكلين رئيسين من أشكال التفسير، وهما التفسير بالرأي-العقلي- والتفسير بالأثر، ولم يجد العالم الإسلامي غضاضة في قبول كلا الشكلين، إذ كانا يتحدان في المرجعية والهدف، وإن كانا مختلفين في الآلية والمنهج، وكذلك اعتمد علماء أصول الفقه على العقل في استنباط الأحكام، استدراكاً للمستجدات، وتحقيقاً لمصالح العباد، فالقياس يعدُّ دليلاً عقلياً من أدلة الأحكام، وإنْ قُيّد العقلُ بالمجانسة بين حكم العقل وأحكام النصوص، لكن بحلول العصر الحديث خرجت العقلانية عن حالتها الأصيلة، واستبدلت بمرجعيتها الإسلامية مرجعية غربية، كما استبدلت بهدفَها الأصيل الرصين البنَّاء المتمثل في خدمة الإسلام والمسلمين، النقد الهدام والتشكيك والتفريق، فأصبحت دراستها من جديد، وتمييز أنماطها بعضها من بعض ضرورية، حذراً من الخلط والالتباس.

أسئلة البحث:

ما أثر الفلسفة العقلانية على تطور البشرية علمياً وفكرياً وفلسفياً؟ وما أثرها على الحداثة؟ وما ثمراتها؟ وما الانتقادات الفلسفية والفكرية الموجهة إليها؟ وما مدى اعتماد الحداثيين على العقلانية في تأويلاتهم لآيات القرآن الكريم؟ وما القيمة العلمية لتأويلاتهم العقلانية؟ وهل هناك عقلانية إسلامية؟ ما مدى الدقة والعلمية والموضوعية التي تحراها الباحثون في نقدهم لهذه الفلسفة؟ هذه الأسئلة وغيرها سيحاول البحث - بإذن الله ﷻ - الإجابة عنها.

الدراسات السابقة:

حظيت العقلانية بعناية كبيرة في الحقل الثقافي الإسلامي المعاصر، وكتبت فيها مؤلفات عديدة، من كتب، ورسائل جامعية، وبحوث، لكن منها ما كان محدداً بالحقل الإسلامي، مثل كتاب (موقف الاتجاه العقلاني الإسلامي من النص الشرعي-

سعد بن جاد العتيبي)، ومنها ما تناول أفكار أشخاص معينين، ككتاب (وقفات مع أدعياء العقلانية حول الدين والعقل، والتراث والعلم، قراءة نقدية لفكر حسن حنفي، ونصر حامد أبي زيد، وهشام جعيط، وأمثالهم- خالد كبير علال)، ومنها ما خصص للحديث عن اتجاهات العقلانية المعاصرة، مثل كتاب (الاتجاهات العقلانية الحديثة- ناصر عبد الكريم العقل)، وهي رسالة ماجستير، تقدم بها المؤلف إلى قسم العقيدة بكلية أصول الدين بجامعة (الإمام محمد بن سعود الإسلامية) بالرياض، ومنها ما اقتصر حديثه على تجليات العقلانية، ككتاب (تجليات العقلانية، الدين والأخلاق والتربية- عامر عبد زيد الوائلي)، ومنها ما خصص بشخص واحد، كبحث (محمد أركون من نقد العقلانية "التراث" إلى عقلانية النقد "مشروعه النقدي"- عميرات محمد أمين وأحمد عطار)، وقد نشرته مجلة روافد في المجلد الخامس من عددها الأول، الصادر في حزيران عام (2021م)، فضلا عن ذلك فقد خصص عدد من الباحثين مطلباً، أو مبحثاً، أو فصلاً من مؤلفاتهم للحديث عن العقلانية ومناقشتها، لكن الذي يميز هذه الدراسة عن غيرها في هذا الصدد عدة أمور:

1- حاولت عرض مفهوم العقلانية وأبرز مبادئها وجذورها-كما يؤمن به أصحابها، بغض النظر عن انتمائهم الجغرافي أو الديني-، ثم بينت موقف الإسلام منها.

2- كما حاولت نقدها بشكل موضوعي، ولم تكتف بعرض أفكار أصحابها، وعدم الخوض في مناقشتها، كما يفعل بعض الباحثين، ظناً منهم أن عرض تلك الأفكار-والتي تفوح منها رائحة العوار والخلل، لو نظرنا إليها من منظور إيماني، بل واقعي- يغني عن الرد عليها.

3- عرضت نماذج من قراءاتهم العقلانية للقرآن الكريم، ثم نقدتها، بخلاف ما فعله بعض الباحثين، إذ قاموا بعرض أمثلة من تأويلات العقلانيين للقرآن الكريم، دون مناقشتها ونقدها، اكتفاءً بالخلفية الثقافية لقارئهم؛ لأنهم يكتبون لشريحة تتمتع بمستوى علمي وثقافي عاليين.

منهج البحث:

اتُبع في هذا البحث المنهج النقدي، إذ قام الباحث ببيان مفهوم الفلسفة العقلانية وأبرز مبادئها، ثم نقدها بشكل علمي وموضوعي، ثم بيان مدى تأثّر الحداثيين بها، وانعكاساتها على تأويلاتهم لآيات قرآنية، وقد ناقش أفكار أصحابها بالأدلة الفلسفية والفكرية، ولم يتعرض للأدلة النقلية إلا نادراً، لا لعدم قوتها، بل لأن كثيراً من أصحاب العقلانية والمتبنين لها لا يقتنعون بها، أو يؤولونها حسب توجهاتهم. هذا، وقد حاول البحث مناقشة العقلانية عموماً، أي لم يعرج على مناقشة مبادئها وأقسامها فرداً فرداً، ظناً مناً أن ذلك يكفي وأن الدخول في تلك التفاصيل والجزئيات يطول ولا يتناسب مع طبيعة هذا البحث.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من: مقدمة، ومطلبين، وخاتمة، في المقدمة ذكرت أهمية البحث، وإشكاليته، وأسئلته، والدراسات السابقة المتعلقة به، والمنهج المتبع فيه، وخطته. وخصص المطلب الأول لعرض مفهوم العقلانية ومبادئها، وجذورها، ونقدها، والعقلانية من منظور مفكري المسلمين، و خصص المطلب الثاني لعرض نموذجين من نماذج قراءات العقلانيين للقرآن الكريم، ونقدها. ولخصت في الخاتمة أبرز نتائج البحث.

وأخيراً، فهذا جهد المقل، فما يوجد فيه من الحق والصواب فمن الله عز وجل، وإن كان فيه سوى ذلك فمن نفسي ومن الشيطان، واللهَ ﷻ أسأل أن يعفو عني، ويوفقني للصواب ويعصمني من الزلل، إنه ولي ذلك، وهو حسبي ونعم الوكيل.

المطلب الأول

مفهوم العقلانية ونقدها

أولاً: مفهوم العقلانية[1]:

تعدُّ العقلانية من أبرز الأسس التي قامت عليها الحداثة، حتى فسّر بعض المفكرين الحداثة بالعقلنة[2]، وما ذلك إلا للمساحة الواسعة التي تشغلها العقلانية في الممارسة الحداثية. وقبل الخوض في نقد الفلسفة العقلانية ينبغي بيان مفهومها وأبرز مبادئها، فما ذا تعني العقلانية؟ وما مفهومها؟

(1) **الفرق بين العقلية أو المذهب العقلي والعقلانية هو:** أن الأول عبارة عن: مذهب فلسفي، يتمحور معظم اهتمامه حول العقل باعتباره الحقيقة المطلقة النهائية للوجود، وأنه المنبع الوحيد لأصل المعرفة وطبيعتها، لكن بعد توسع هذا المفهوم وانسلاخه من قالبه المذهبي مال إلى معنى العقلانية، وهو: القدرة المطلقة للعقل، والبحث العلمي للوصول إلى الحقائق كافة عن العالم، من دون مساعدة أية سلطة خارجية، خصوصاً سلطة الدين، وبات المفكر العقلاني مائلاً إلى القول: إن المعقول هو الشيء الطبيعي، فلا توجد خوارق للطبيعة، ولا المسلمات الغيبية لأية عقيدة من العقائد. ينظر: فلسفة العلم من العقلانية إلى اللاعقلانية: كريم موسى، دار الفارابي، بيروت - لبنان، ط1 (2012م): 14- 15.

(2) دفاعاً عن العقل والحداثة: محمد سبيلا، منشورات الزمن، الدار البيضاء- المغرب (2003م): 57.

جاء في المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، أن العقلانية هي: "مذهب أهل العقل... أو تعقل الملائم، باعتبار أنَّ كل موجود معقول، وكل معقول موجود، أو أنَّ العقائد الإيمانية صحيحة، من حيث يمكن أن يستدل عليها بالأدلة العقلية"[1]. وفي تعريف أوسع وأشمل لها، يقول (محمد سبيلا- ت 2021م) هي: "مذهب فلسفي، ينحو منحىً وثوقياً في التمسك بالعقل كمصدر للمعرفة، وكوساطة للحقيقة، وكمبدأ يحكم الفعل الإنساني، وينتظم الواقع"[2]. فالعقلانية إذن عبارة عن: تنظيم الحياة بمختلف جوانبها على هدي العقل، وإخضاع كل شيء لفحصه، فلا يخرج عن سلطته شيء، سواء كان من المعتقدات والمقدسات، أو غيرها[3]. فهي تؤكد على: التطابق الكامل بين العقلي وبين حقيقة الكون، وعلى إقصاء اللامعقول من الواقع، وعلى أن تكون الأفعال الإنسانية عقلانية في المبدأ والمسلك والغاية[4].

وتنبغي الإشارة هنا إلى: أنّ العقل الذي تقصده الحداثة هو: الذي يكون في دائرة معطيات الاستقراء والتجربة[5]، لا العقل التجريدي الذي يتبعه الفلاسفة التأمليون، إ إنها تتميز بتطوير طرائق جديدة في المعرفة، تقوم على الانتقال التدريجي من المعرفة التأملية إلى المعرفة التقنية القائمة على إعمال العقل بمعناه الحسابي التي قوامها الملاحظة والتجربة والصياغة الرياضية، فهي تضفي الطابع التقني على العلوم ذات الصلة بالطبيعة، والطابع العلمي على المعارف كلها، بما فيها معرفة الإنسان[6].

ثانياً: مبادئ العقلانية:

في ضوء ما سبق يمكن أن نستنبط أبرز مبادئ العقلانية-عند أغلب القائلين بها-، وهي:

1- إنّ التجربة العقلية هي المرجع الوحيد للمعرفة في تفسير جميع الأشياء في الوجود.
2- لا تثبت حقيقة أية معلومة ولا أية فكرة بمطابقتها للواقع، وإنما تثبت بمرورها عبر محك العقل.
3- لا وجود لأية ظاهرة في حد ذاتها إطلاقاً، وكل ما هنالك من الظواهر فهي عبارة عن تأويلات.
4- لا وجود لأيّة معلومة يمكن أن تلبس زي الثبات والأبدية، ومن ثم تستحق التقديس، وتتبوأ منزلاً فوق النقد.

وغيرها من المبادئ، مما ينشأ عنها عدم الإيمان بمعجزات الأنبياء، وخوارق العادات، ووجوب اختبار العقائد الدينية بمعيار العقل[7].

ثالثاً: جذور العقلانية

ظهرت العقلانية في الفلسفة اليونانية على يد (سقراط- ت 399 ق.م) و(أرسطو- ت 322 ق.م)، لتقف ضد الأسطورة والنزعات الشكيَّة، ثم دخلت في سبات عميق طوال القرون الوسطى[8]، لتستيقظ من نومتها في بدايات ظهور الفلسفة الحديثة على يد (بيكون- ت 1626م) و(ديكارت- ت 1650م)، و(كانت- ت 1804م) من فلاسفة القرنين السادس والسابع عشر[9]، لتتمسك بالعقل ضد ضد الأطروحة الاختبارية[10]، زاعمة أنّ العقل يحتوي على أفكار ومبادئ فطرية-كما يقول (ديكارت)-، أو قبلية-كما يقول (كانت)- توجّه تلك المبادئ والأفكارُ المعرفةَ الإنسانية مستقلاً عن التجربة، لذا اتخذت العقلانية الديكارتية من الرياضيات منهجاً عاماً للعقل وأنموذجاً للحقيقة، في حين تذرعت العقلانية الكانتية بالنقد كطريق بين الوثوقية والنزعة الشكيّة، لكن العقلانية إنما استوفت إمكاناتها الفلسفية مع الهيجلية؛ حيث صار العقل يشكل قوام الوجود وناموس الواقع[11]، انطلاقاً من مقولة (هيجل- ت 1831م): "ما هو عقليٌّ متحققٌ بالفعل، وما هو متحققٌ بالفعل عقليٌّ"[12].

---

(1) المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة: عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3 (2000م): 542.
(2) موسوعة المفاهيم الأساسية في العلوم الإنسانية والفلسفة: محمد سبيلا ونوح الهرموزي، منشورات المتوسط، الرباط – المغرب، ط1 (2017م): 346.
(3) ينظر: دفاعاً عن العقل والحداثة لمحمد سبيلا: 57-58.
(4) ينظر: موسوعة المفاهيم الأساسية لمحمد سبيلا ونوح الهرموزي: 346.
(5) المراد بالاستقراء والتجربة هو الاستقراء والتجربة العقليتين ، لا الاستقراء والتجربة بالمعنى المشهور.
(6) ينظر: الحداثة وما بعد الحداثة لسبيلا: 9، و106، نقلاً عن الأسس الفلسفية للحداثة: صدر الدين القبانجي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت – لبنان: 168 – 169.
(7) ينظر: الأسس الفلسفية للحداثة للقبانجي: 174، وما بعدها، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف: مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، ط4، (1420 هـ): 2/ 797.
(8) ينظر: المصدر السابق: 2/ 796، وموسوعة المفاهيم الأساسية لمحمد سبيلا: 346، وفلسفة العلم من العقلانية إلى اللاعقلانية لكريم موسى: 16.
(9) ينظر: الأسس الفلسفية للحداثة للقبانجي: 169.
(10) الاختبارية : مذهب فلسفي ظهر في القرن (17) ضد القول بوجود أفكار فطرية، فبدل البحث عن الحقيقة في الفكر يتوجه إلى التجربة وإلى الحاضر، والتجربة في منظوره هي المعيار الوحيد لصلاحية الأحكام وصحة المنطوقات اللغوية، وتؤكد على أن المعرفة إنما تعطى عبر الإدراكات الحسية، لا بصورة قبلية كما لا تقوم على أفكار فطرية ، والعقل عنده يشبه اللوح الفارغ من كل أثر. ينظر: موسوعة المفاهيم لسبيلا: 25.
(11) ينظر: موسوعة المفاهيم الأساسية لمحمد سبيلا: 346.
(12) أصول فلسفة الحق: هيجل (ت: 1831م)، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، بيروت، ط3، (2007م): 86.

إلا أنَّ العقلانية المعاصرة قد قلَّلت من هذا الحضور الطاغي للعقل، وألبسته ثوب الدينامية والنسْبيَّة، وأصبح يدان لا لإفراطه في العقلنة-فحسب- وإنما لاتّسامه باللامعقولية أيضاً[1].

رابعاً: نقد العقلانية:

لا شك أن العقلانية ليست شراً كلَّها، بل لها إيجابيات إلى جانب سلبياتها، فالرفع من قيمة العقل، والاعتماد عليه في الكشف عن قوانين الطبيعة، وتسخيرها لخدمة الإنسان، وكذلك الرفع من شأن التجربة واعتبارها مصدراً مهماً من مصادر المعرفة، والدعوة إلى رفض الخرافات والمعلومات بغير أدلة، كل ذلك وغيره يمكن أن تعد من الجوانب الإيجابية للعقلانية[2]. لكن العقلانية تطرفت وانحرفت لما رفضت البدهيات العقلية، كمبدأ (عدم التناقض)، بحجة عدم خضوعها للتجربة، ورفضت بالحجة نفسها جميع المفاهيم المستعصية على الاختبار والتجربة، مثل: (الله، والقيامة، والوحي،...) ولقد ازدادت تطرفاً لما أنكر بعض الفلاسفة أية حقيقة خارجية وراء عالم الذهن الإنساني، وقد نتج عن هذا التطرف جملة من المذاهب والمدارس التي قد تكون أشد تطرفاً وانحرافاً منها، كالظاهراتية، والهرمنيوطيقا، والذرائعية وغيرها[3].

ونتيجة لذلك التطرف فقد تعرضت العقلانية لطعون فلسفية هزّت كيانها، إذ إنَّ ثمة أموراً لا يمكن إنكارها، ولا تخضع للفحص العقلي بغية التأكد من صحتها، من ذلك: العقلانية نفسها، فقد عجزت عن إثبات ذاتها عن طريق التجربة التي تدعي أنها المصدر الوحيد للمعرفة؛ إذ لا يمكن أن تخضع لمبادئ عقلية سابقة؛ لأن القول بالتجريب يرفض ذلك، ولا يمكن البرهنة على ذلك بالتجربة؛ لأنه يؤدي إلى إثبات الشيء نفسه بنفسه، فثبت أن الإنسان يمتلك حقائق خارج عالم التجربة[4].

وكذلك لا يقدر الاختبار العقلي على اكتشاف بعض المفاهيم العقلية الراسخة في ذهن الإنسان، كمفهوم الاستحالة والعليّة، لا يستطيع الفحص العقلي أن يبرهن على استحالة (أب بدون ابن)، من غير استعانة بمفاهيم خارج إطار التجربة، وكذا مفهوم عليّة النار للدخان-مثلاً- لا يمكن إثباته عن طريق الفحص المذكور، لعدم خضوعه للتجربة؛ لأنه استنتاج عقلي[5].

وإذا كان التجريب يعتمد على الاستقراء والاستنتاج لإثبات الحقائق المادية، فإنه يمكن الاعتماد على هذا الأسلوب عينه لإثبات الحقائق غير المادية، كالروح، والله، والوحي، وغيرها، وقد انتهج القرآن الكريم هذا المنهج ليلفت العقل إلى وجود الله[6]، ومن علماء المسلمين الذين سلكوا هذا المسلك لإثبات الحقائق الدينية الكبرى: (وحيد الدين خان- ت 2021م) في كتابه القيم (الإسلام يتحدى).

هذا إذا نظرنا إلى العقلانية من الناحية الفلسفية، أما إذا نظرنا إليها من ناحية وجودها على أرض الواقع فيبدو أنه لا يبشر بخير؛ إذ ثبت أنّ تسييد العقل وإفلاته من الوصاية الإلهية والضوابط، ووضعه موضع الدين يؤدي إلى نتائج خطيرة، لأنه ليس سيداً- كما يدعي العقلانيون-، وإنما هو خادم مطيع لمن يستخدمه، يستقيم باستقامته، وينحرف بانحرافه، ويوهمه أن انحرافه عين العقل، وخير دليل على ذلك ما فعله العقل الأوروبي، حيث زين للثورة الصناعية أن تقوم على الربا، فأدى إلى انقسام المجتمع إلى قسمين: أثرياء وعددهم في تناقص مستمر، وفقراء وعددهم في تزايد باستمرار، ليس هذا على مستوى الأفراد فحسب وإنما على مستوى الشعوب والدول أيضاً. وأباح الانفلات من ضوابط الأخلاق، بحجة أنّ الانطلاق بلا قيود يصون الإنسان من الكَبت المؤدي إلى الأمراض العصبية والعقد النفسية. وأباح لأوروبا استعمار الدول الضعيفة، ونهب ثرواتها وإخضاعها لمصالحها، بحجة أن ذلك حق العالم على الجاهل، والمتحضر على المتخلف[7].

ولقد شعر بعض المفكرين بتلك النتائج الخطيرة التي تخلفها العقلانية التي تعد من أبرز ركائز الحداثة، وصرح بأنه إذا كنا مضطرين لتحديد إيديولوجيا عامة للأدب الحديث فإن المرشد الإيديولوجي الوحيد الذي نجده هو الفوضوية أو العدمية، وبهذا المعنى تصبح الحداثة اتجاهاً غير عقلاني، وقد اعترف بذلك مفكرو الغرب وفلاسفته أنفسهم، يقول (هاري ليفن- ت 1994م): "على الرغم من أن الأدب الحديث يفخر بجرأته، فإن ثمة عضواً واحداً من الجسم يبقى ذكره في الغالب محظوراً، ألا وهو العقل"[8]. ويقول (جاك إلول- ت 1994م): "يقيني هو أن عقلانية التقنية، وكل التنظيم البشري تلقي بنا في خضم عالم من اللاعقلانية"[9].

---

(1) ينظر: موسوعة المفاهيم الأساسية لمحمد سبيلا: 347.
(2) ينظر: الأسس الفلسفية للحداثة للقبانجي: 182، وما بعدها.
(3) ينظر: المصدر نفسه: 185، وما بعدها.
(4) ينظر: فلسفتنا: محمد باقر الصدر (ت: 1400هـ)، دار التعارف، بيروت، ط3، (1430هـ - 2009م): 117- 118، والأسس الفلسفية لصدر الدين الدين القبانجي: 195 196.
(5) ينظر: المصدران السابقان: 119-120، 196- 197.
(6) ينظر الأسس الفلسفية لصدر الدين القبانجي: 197- 198 .
(7) ينظر: مغالطات: محمد قطب(ت: 1435هـ)، دار الشروق، القاهرة- مصر، ط2، (1427هـ - 2007م): 57- 58، والعقلانية وانتقاداتها: محمد سبيلا، وعبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال، الدار البيضاء- المغرب، ط2، (2006م): 25.
(8) ينظر: الحداثة بين العقلانية واللاعقلانية انهيار دعاوى الحداثة: عزة السيد أحمد، دار الفكر الفلسفي، دمشق، ط2، (1999م): 160- 161.
(9) خدعة التكنولوجيا: جاك إيلول (ت: 1994م)، ترجمة: فاطمة نصر، دار سطور، بدون معلومات الطبع الأخرى: 197.

وخير دليل على صدق هذا الكلام هو: ما خلَّفته الحروب العالمية التي اندلعت في قلب مرحلة الحداثة، من المصائب والويلات والدمار والكوارث، وكذلك ولادة ما بعد الحداثة-بما فيها من لاعقلانية- من رحم الحداثة[1].

ولئن كانت الحداثة تزعم أن ممارسة العقلنة والعلمنة تحقق كل الآمال الإنسانية نحو حياة أفضل[2] فإنَّ الواقع أثبت زيف هذا الزعم، لذا يقول (إدغار موران): "لقد أصبح العقل هو الأسطورة الكبرى الموحدة للمعرفة، وللأخلاق والسياسة، يجب على المرء في هذا المنظور أن يحيا تبعاً للعقل، أي: أن يبعد نداءات الوجدان، والاعتقاد"[3]. ويقول (هردر- ت 1803م): "لا يمكنني أنْ أفهم كيف يمكن أن يكون العقل كونياً بوصفه الذروة الوحيدة للحضارة الإنسانية بأسرها"[4].

وثمة نقد جديد آخر يبرز في قلب العقلنة نفسها، يقوم بإدانة العقل لا لإفراطه في العقلانية فحسب، وإنما يدان لأنه غير معقول أيضاً، إنّ العقلانية تعاني من أزمة جديدة، وهي الكشف عن اللاعقل ضمن العقل، أزمة تتولد من تمرد العقلنة على التبرير العقلاني، وتبرز وجود اللاعقل السكران الأحمق المخرب، ويمكن أن تبتلع هذه اللاعقلانية العقل دون أن يعي ذلك- كما يقول (إدغار موران)-[5].

فلا عجب إذن أن نرى المدرسة الفرانكفورتية النقدية انبثقت من رحم التنوير العقلاني لتنقد العقلانية المتحولة إلى صنوف من اللاعقلانية، وتقول: "إنّ فلاسفة التنوير هاجموا الدين والميتافيزيقا باسم العقل، ورغم ذلك انتهوا إلى تدمير العقل ذاته"[6]. ثم إن طاقة العقل كسائر طاقات الإنسان محدودة مقيدة بالحواس الأخرى في أحكامه، ولذا فإنه قد يقع في الخطأ والخلل كما يقع فيهما الحواس الأخرى، ومن العجيب-على حد قول (ألكسس كاريل- ت 1944م)- أنَّ الأمراض العقلية أكثر عدداً من كل الأمراض الأخرى مجتمعة[7]! كما أن النشاط العقلي متوقف على وجوه النشاط الفسيولوجي[8]. وأيضاً فالعقل لا يقدر على إدراك كل المطلوبات، وإنما القادر على ذلك هو العليم الخبير، وما يدركه العقل من المدركات فإن إدراكه هذا لا يخلو عن ضعف وقصور[9].

ولعل أول انحراف منيت به العقلانية غير المؤمنة هو محاولة إقحام العقل في قضية الذات الإلهية التي لا يلمّ بها، فضلاً عن أن يحيط بكنهها؛ لأن المحدود لا يمكن أن يحيط بغير المحدود، والفاني لا يقدر على الإحاطة بحقيقة الأزل والأبد، وقصارى ما يمكن أن يقوم به العقل في هذا الصدد هو أن يتصور تلك القضية لون تصور، وأن يدرك أنها يمكن أن توجد على هذه الصورة، ولا يظنّ أن هذا يعني أن الأمور الدينية والاعتقاد في وجود الله ومعرفة صفاته لا حظَّ للعقل فيها، وإنما يعني أن العقل ينبغي أن يدخل هذا الميدان من بابه الذي هو مؤهّل بطبيعته ليدخل منه، وهو باب إدراك آثار القدرة الإلهية، والاستدلال بها على وجود الله، ومعرفة صفاته، لا من باب الكنه الذي لا يقدر عليه ولا يصل إلى نتيجة فيه- كما يقول محمد قطب-[10].

وفي هذا يقول (عبد الرحيم المولوي- ت 1300هـ):

فكلُّ ما تُبصره وتسْمعُ وكلُّ ما في وَهم علمٍ يقعُ
وكلُّ خاطر جرى بِبَالِكا فـربُّنا على خـلاف ذلكا
جلَّ الذي كلَّ نُهَى صُفَاته في ذاته وفي عُلا صِفاته
زُحْزحَ عن عقل الوَرى إلهنَا فمُنتها عقُولِنا إلى هُنا
خالقُنا معبُودُنا إلهُ جلَّ عن استحصائنا إلاه [11]

ثم إنّ العقلانية التي يدعيها أصحابُها-وهي اعتبار العقل حاكماً على جميع الأشياء، والعمل على وفق حكمه[1]- تستأثر بالإنسان بالإنسان من دون الوحي، وبالتالي فهي متنافية مع الرسالة الدينية؛ إذ الوحي أو الرسالة بالنسبة إلى المسلم هو السلطان الوحيد المقابل

(1) ينظر المصدر السابق: 147، وأعداء الحداثة، مراجعات العقل الغربي في تأزم فكر الحداثة: محمد محمود سيد أحمد، دار الوعي، الرياض، ط1، (1434هـ): 174.
(2) ينظر: أعداء الحداثة لمحمد سيد أحمد: 175.
(3) العقلانية وانتقاداتها، لمحمد سبيلا، وبنعبد العالي: 20.
(4) ينظر: أعداء الحداثة، لمحمد سيد أحمد: 175.
(5) ينظر: العقلانية وانتقاداتها لمحمد سبيلا وبنعبد العالي: 21، و25.
(6) الإيديولوجيا والهوية الثقافية، الحداثة وحضور العالم الثالث لجورج لارين: 117، نقلاً عن: أعداء الحداثة لمحمد سيد أحمد: 176.
(7) ينظر: الإنسان ذلك المجهول: ألكسيس كاريل (ت: 1944م)، ترجمة: شفيق أسعد فريد، مكتبة المعارف بيروت- لبنان، ط1، (1423هـ-2003م): 165.
(8) ينظر: المصدر السابق: 153.
(9) ينظر: أصول الليبرالية وموقف الإسلام منها: أحمد محمد عبد الكريم اللهيب، مدار الوطن، الرياض، ط1، (1436هـ - 2015م)، بدون معلومات معلومات الطبع الأخرى: 39- 41.
(10) ينظر: مذاهب فكرية معاصرة: محمد قطب (ت: 1435هـ)، دار الشروق، القاهرة، ط7، (1413هـ - 1993م): 502.
(11) ينظر: الوسيلة في شرح الفضيلة لعبد الرحيم المولوي: عبد الكريم محمد المدرس (ت: 1426هـ)، مطبعة الإرشاد، بغداد، ط1، (1392هـ - 1972م): 14، و17.

للعقل في الحكم على الأشياء[2]، فكيف يسوغ إخضاع نصوص تلك الرسالة لحكمه؟! وكيف يجوز تحكيم العقل على الوحي وهو يعاني من عدم استقرار مقياسه، فضلاً عن محدوديته ونسبيته وخضوعه لبيئة الشخص العاقل وثقافته وتكوينه العلمي، فما يقبله عاقل قد ينكره عاقل آخر، وما يستحسنه شخص قد يستقبحه شخص آخر[3]؟ يقول (ابن خلدون-ت 808هـ) -وهو يتحدث عن العقل-: "غير أنّك لا تطمع أن تزن به أمور التّوحيد والآخرة وحقيقة النّبوة وحقائق الصّفات الإلهيّة وكلّ ما وراء طوره فإنّ ذلك طمع في محال، ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الّذي يوزن به الذّهب فطمع أن يزن به الجبال، وهذا لا يدرك، على أنّ الميزان في أحكامه غير صادق لكنّ العقل قد يقف عنده ولا يتعدّى طوره حتّى يكون له أن يحيط باللّه وبصفاته"[4]، ثم إن العقل لو خُلِيَّ ونفسه لما استساغ لنفسه أن يتقدم بين يدي الله تعالى ورسوله، فهو إن كان لا يستسيغ للجاهل أن لا يتبع العالم، ولا للأعمى أن لا يتبع البصير، ولا للعليل أن يخرج على إرشادات الطبيب، فكيف يسمح لمخلوق أن لا يخضع لخالقه، أو أن يتقدم عليه أو يزاحمه وينافسه[5]؟

خامساً: العقلانية الإسلامية:

قد يكون ظهور العقلانية المتطرفة السابق ذكرها في الغرب مبرَّراً إلى حد مَّا، نتيجة للحجر الذي فرضته الكنيسة على العقل هناك، لكن التشبث بها وإسقاطها على المجال المعرفي الإسلامي-خصوصاً المجال القرآني منه- بتطرفها وانحرافاتها ليس في موضعه وغير مبرر في نظرنا؛ إذ لم يكن النشاط العقلي ممنوعاً في الإسلام يوماً من الأيام، بل بسطوع نور الإسلام وضع العقل في مساره الصحيح، وأعيد إلى مكانه اللائق به.

فالعقل يتمتع بمكانة رفيعة في الإسلام، تظهر في أنه جعل العقل من أكبر نعم الله ﷻ على عباده، وعدّه الطريق للمعرفة الصحيحة، والحجة فيما بينهم وبين الله ﷻ، وربط صحة العبادات والتكاليف الشرعية به، ودعا القرآن الكريم في عشرات الآيات إلى تفعيل العقل وتحكيمه، والاستهداء بهديه، وهذه العناية القرآنية بالعقل إنما هي لاعتماده في اكتساب المعلومات القائمة على البرهان، ورفض أية معلومة لا يساندها دليل علمي، قال ﷻ: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [سورة الإسراء: ٣٦].

والعقل مناط التكليف، وآلة الفهم، وحامل الأمانة[6]، وقوام كل فعل تتعلق به المصلحة[7]. وقد راعت الشريعة الإسلامية العقل من حيث الوجود والعدم، وقامت بدرء الإخلال الواقع والمتوقع عنه.

ويكفي دليلاً على هذه العناية الإسلامية بالعقل أنه لم يقبل أن يقلّد المؤمن في إيمانه الذي يبنى عليه كل تصرفاته، ويربط به دنياه وآخرته، بل يجب أن يكون إيمانه مبنياً على بصيرة، ويقين جازم، وقناعة تامة[8]، فلا توجد في الإسلام محرمات عقلية، رغم الاعتقاد بمحدودية طاقة العقل، ومحصورية ساحة نشاطه، وعجزه عن الخوض في بعض الأمور من دون استعانة بالوحي[9].

---

(1) يقول حسن حنفي: "لا سلطان إلا للعقل". التراث والتجديد: حسن حنفي(ت: 1441هـ)، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت- لبنان، ط4، (1412هـ - 1992م): 52.

(2) ينظر: الحوار أفقاً للفكر: طه عبد الرحمن، الشبكة العربية للأبحاث، بيروت-لبنان، ط1 (2013م): 97- 99.

(3) العيوب المنهجية للقراءات الحداثية في نقد الصحيحين: نبيل بلهي، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، بدون معلومات الطبع الأخرى: 19.

(4) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت: 808هـ)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، (1408هـ - 1988م): 1/ 582.

(5) ينظر: وقفات مع أدعياء العقلانية حول الدين والعقل والتراث والعلم: خالد كبير علال، دار المحتسب، الجزائر (1431هـ - 2010م)، بدون معلومات الطبع الأخرى: 14.

(6) الفروق - أنوار البروق في أنواء الفروق-: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (ت: 684هـ)، عالم الكتب، بدون معلومات الطبع الأخرى، الفرق: (98): 2/ 166.

(7) البحر المحيط في أصول الفقه: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: 794هـ)، دار الكتبي، ط1، (1414هـ - 1994م)، بدون معلومات الطبع الأخرى: 7/ 266، وإرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: 1250 هـ)، تحقيق: محمد سعيد البدري أبو مصعب، دار الفكر، بيروت، (1412هـ - 1992م) بدون معلومات الطبع الأخرى: 366.

(8) ينظر: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين: طاهر بن محمد الأسفراييني، أبو المظفر(ت: 471هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، لبنان، ط1، (1403هـ- 1983م): 180، وحاشية البناني على جمع الجوامع: تاج الدين عبد الوهاب ابن السبكي (ت: 771هـ)، انتشارات كوردستان، سنندج، ط1، (2020م): 2/ 401، وما بعدها، ولوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: شمس الدين، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، أبو العون (ت: 1188هـ)، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، ط2، (1402 هـ- 1982م): 1/ 267.

(9) على سبيل المثال، يقرأ هذا الحوار الإبراهيمي الذي سجله القرآن الكريم: {وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (75) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (78) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [سورة الأنعام: ٧٥ – ٧٩]، وينظر: الأسس الفلسفية لصدر الدين القبانجي: 247، وما بعدها.

وإذا كانت العقلانية الغربية تعدُّ العقل والنقل خطين متوازيين لا يلتقيان، وأنه لا سبيل للاستدلال والبرهنة سوى العقل فإن الفلسفة العقلانية الإسلامية المتمثلة في علم الكلام قد انطلقت من القرآن الكريم، وتأسست على النقل، حتى سميت بـ(علم أصول الدين)، فليست هي المصدر الوحيد للمعرفة، وإنما معها كذلك النقل، والوحي[1]؛ إذ إنّ العقل البشري معرض للخطأ في التقدير، والانحراف في التصور، بدليل تخبط العقلانيين أنفسهم قديماً وحديثاً في بحثهم عن الحقيقة والحق، واختلافهم يميناً ويساراً، لذا فهو بحاجة إلى ضوابط من مصدر أعلى منه، وأحكم وأعلم، يمنعه من الانحراف والانجرار وراء أصحاب الأهواء[2].

ومن هذا المنطلق تكفل الله ﷻ ببيان الغيبيات وأصول العقيدة السليمة له عن طريق الوحي[3]. وأرشد الإسلام العقل البشري في في المسائل التي يعجز العقل عنها أو لا يستقل بإدراك تفاصيلها، من الإيمان بالغيب عموماً، وتفاصيل مسائل الأخلاق حسنها وسيئها، ومسائل الحلال والحرام، وموضوع القضاء والقدر[4]، ومع ذلك لم يمنع في الإسلام إعمال الفكر والنظر في كثير من القضايا الغيبية ومناقشتها -خصوصاً ما لم يثبت منها بالدليل القطعي ثبوتاً ودلالة-، لكن بأدلة عقلية أو نقلية، وبضوابط البحث العلمي، والمنهج المعرفي المقرر لدى علماء الفرق الإسلامية، لذا نجد أنَّ بعض علماء المسلمين تكلموا في قضايا غيبية، حتى إن المعتزلة ذهبوا إلى أن الحُسن والقُبح-بمعنى: ما يوجب المدح والذم الشرعيين عاجلاً، والثواب والعقاب آجلاً- عقليان، أي: يستقل العقل بإدراكهما من غير ورود الشرائع، والشرائع مؤكدة لحكم العقل فيما علمه ضرورة، أو نظراً، أو مظهرة لما لا يعلمه العقل ضرورة ولا نظراً[5]. فالإشكال فالإشكال في إنكار الغيبيات والأمور المعنوية اعتماداً على العقل المجرد، ومن دون دليل علمي.

المطلب الثاني

نماذج من التفسير العقلاني للقرآن الكريم

قد تكون العقلانية مبدأً مشتركاً لعامة الحداثيين الذين حاولوا تأويل القرآن، وإن تفاوتوا في قدر التحاكم إلى العقل، وفي كيفية استخدامه في ذلك التأويل[6]، لكن ينبغي الإشارة إلى أنْ ليس المراد بالتفسير العقلاني هنا ما يطلق عليه التفسير العقلي، أو التفسير بالرأي المحمود، أو التفسير النظري، في مقابل التفسير النقلي، أو التفسير بالمأثور أو التفسير الأثري، الذي تبناه عدد من كبار المفسرين، كالرازي، والبيضاوي، وأبي حيان، وأبي السعود، وآخرين، والذي ينبغي أن يكون منضبطاً بضوابط علمية مستمدة من هدايات القرآن الكريم والسنة الشريفة، قائماً على أسس منهجية[7]، وإنما المراد به ذلك التفسير الذي قام به بعض مدعي التجديد والعقلانية، والذي لا يتقيد بشروط التفسير الصحيح وضوابطه، بل ينطلق مما يهواه أصحابه، وتستسيغه عقولهم، وإن خالف صحيح المنقول، أو ما أجمع عليه المسلمون، ذلك التفسير الذي إنْ أصابوا فيه مرة، وأتوا بتفسير جميل لبعض الآيات أخطأوا فيه مراراً، وأتوا بعجائب وغرائب للعديد من الآيات.

ولعل أبرز ما خاض فيه هؤلاء، وخرجوا منه بما يخالف صريح القرآن الكريم، وإجماع علماء المسلمين هوَ موضوعا معجزات الأنبياء، والغيبيات.

الأنموذج الأول: إنكار المعجزات[8]:

من بين العقلانيين الذين ينكرون أن تكون للأنبياء معجزات خارقة للسنن الكونية: (أبو زيد الدمنهوري -ت 1348هـ)، إذ يقول في هذا الصدد: "إنّ آيتهم على صدق دعوتهم لا تخرج عن حسن سيرتهم، وصلاح رسالتهم، وأنهم لا يأتون بغير المعقول، ولا بما يبدّل سُنَّته ونظامه في كونه"[9]، ويؤوّل ما ورد منها في القرآن تأويلاً ينسجم مع ميوله وتوجهاته العقلية، فعلى سبيل المثال، يقول في تفسير معجزات سيدنا عيسى عليه السلام الواردة في قوله ﷻ: {وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ

(1) ينظر: الغزو الفكري وهم أم حقيقة؟: محمد عمارة (ت: 1441هـ)، الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر، مطابع روز اليوسف (2003م): 47، وما بعدها.
(2) ينظر: مغالطات لمحمد قطب: 57- 58.
(3) ينظر: الاتجاهات العقلانية الحديثة: ناصر بن عبد الكريم العقل، دار الفضيلة، الرياض، ط1 (1422هـ 2001م): 31.
(4) ينظر: المصدر السابق: 31- 32.
(5) ينظر: شرح تنقيح الفصول: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (ت: 684هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط1، (1393 هـ - 1973 م)، بدون معلومات الطبع الأخرى: 88-90.
(6) ينظر مثلاً: وقفات مع أدعياء العقلانية لعلال.
(7) للاطلاع على شروط وضوابط التفسير العقلي المقبول ينظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: صلاح عبد الفتاح الخالدي (ت: 1443هـ)، دار القلم، دمشق، ط3، (1429هـ - 2008م): 421، وما بعدها.
(8) من الحداثيين الذين أنكروا معجزات الأنبياء: هشام جعيط في كتابه: في السيرة النبوية، الوحي والقرآن والنبوة: هشام جعيط (ت: 1442هـ)، دار الطليعة، بيروت- لبنان، ط3، (2000م): 29، وحسن حنفي في كتابه: من العقيدة إلى الثورة: حسن حنفي(ت: 1441هـ)، مكتبة مدبولي، بدون معلومات الطبع الأخرى: 4/ 76.
(9) الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن: محمد أبو زيد الدمنهوري (ت: 1348هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر (1349هـ): 306.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [سورة آل عمران: ٤٩]: "{ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ} يفيدك التمثيل لإخراج الناس من ثقل الجهل وظلماته إلى خفة العلم ونوره،{الْأَكْمَهَ } من ليس عنده النظر، { وَالْأَبْرَصَ } المتلوّن بما يُشوّه الفطرة، فهل عيسى يُبرئ هذا، بمعنى أنه يُكمل التكوين الجسماني بالأعمال الطبية؟ أم بمعنى أنه يكمل التكوين الروحي والفكري بالهداية الدينية؟ { فِي بُيُوتِكُمْ } يعلمهم التدبير المنزلي"[1].

وهذا التردد منه فى معنى إبراء الأكمه والأبرص بين تكميل التكوين الجسمانى بالأعمال الطبية، وبين تكميل التكوين الروحي بالهداية الدينية، ليس تردد الشاك في أنَّ أيهما حصل، بل هو تردد يبدو منه بوضوح أنه يميل إلى أن المراد هو التكوين الروحي لا غير[2]، بدليل تصريحه بذلك عند تفسيره لقوله ﷻ:آ{وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي} [سورة المائدة، من الآية: ١١٠]، وقال: "من هذا تعرف أنّ عيسى نبيٌّ أرسله الله إلى بني إسرائيل ليشفي نفوسهم، ويحيي موت قلوبهم، فآيته في دعوته وسيرته وهدايته، عاش ومات كغيره من الأنبياء في بشريته، فلم يكن خارقاً في سنَّته، ولا ممتازاً بما يدعو إلى أُلوهيته وعبادته"[3].

ولم يبيّن رأيه للقارئ بعدُ ما هو تفسيره لولادة عيسى ﷺ بدون أب؟ هل يعدّها معجزة خارقة للسنن الإلهية في الكون، وبالتالي يقرّ بنقضه لقوله السابق؟ أم ينكرها ويؤولها كغيرها، تأويلاً بعيداً متعسفاً، لا نعلم له سلفاً فيه من مفسري القرآن العظيم المعتبرين؟

وقد صنع هذا الصنيع مع جميع معجزات الأنبياء الواردة في القرآن الكريم، وأوّلها بما يحلو له، ويمليه عليه عقله، وإن كان مخالفاً لنصوص القرآن، وما اتفقت عليه كلمة المفسرين المعتبرين، أو بلغ الغاية في الغرابة والعجَب!!

إن معجزات الأنبياء ليست من المستحيلات العقلية، كالجمع بين النقيضين، حتى ينكر وجودها، بل هي من الممكنات، وكل ما كان ممكناً فالعقل لا ينكر وقوعه، فكذلك المعجزات لا ينكر وقوعها، ولاسيما إذا دعت الحاجة إليها، أو أخبر بها الصادق، أو نقلت بالتواتر.

وقد كانت المعجزات دلائل على صدق مدعي النبوة، ولذا كان الكفار يطالبونهم بالإتيان بها، وهم كانوا يعلمون أنها أمور خارقة للعادات والسنن الكونية المألوفة، يعجز البشر عن الإتيان بها، وإنما يظهرها الله على يد من كان صادقاً في دعواه، قال ﷻ: {وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (90) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (91) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (92) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا} [سورة الإسراء: ٩٠ – ٩٣] [4].

وقال ﷻ على لسان قوم ثمود: {مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [سورة الشعراء: ١٥٤]، ولم يبين الدمنهوري في هذه الآية، هل المراد بالآية سيرة صالح ﷺ ودعوته، كما يزعم ؟ وهما قد كانتا موجودتين فيهم بالفعل، فيكونون قد طلبوا بذلك تحصيل الحاصل؟ أو المراد بها أمر خارق للعادة يشهد على صدقه ﷺ في دعوى النبوة؟ وهو ما حصل فعلاً، إذ قال لهم: آ{هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ} [سورة الشعراء من الآية: ١٥٥]، وواضح أنَّ الناقة ليست عبارة عن سيرة نبي الله صالح، ولا دعوته.

والمعجزات إنما تخالف مألوف الإنسان لا العقل وقواعد العلم، وليس كل ما لم يألفه الإنسان محكوماً عليه بالاستحالة، ولا سيما إذا كان الأمر منسوباً إلى قدرة الله[5]، يقول (وليم جونز- ت 1882م): "إنّ القدرة التي خلقت العالم لا تعجز عن حذف شيء منه أو إضافة شيء إليه، ومن السهل أن يقال عنه: إنه غير متصور الوقوع عند العقل، ولكن الذي يقال عنه: إنه غير متصور، ليس غير متصور إلى درجة وجود العالم"[6]، يشير بذلك إلى أنّ أعظم المعجزات وأبهر الخارقات هو إيجاد العالم وما فيه، إلا أنّ الإنسان لإلفه به لا يحسب معجزة إلا ما يخرق مألوفه ومعتاده.

وأخيراً إنّ المعجزة والنبوة كلتاهما من الأمور الغيبية الخارقة للسنن الكونية، وهما متلازمتان؛ إذ بالمعجزة تثبت النبوة، وبها يميز الصادق عن الكاذب في دعوى النبوة، فإنكار أيّ منهما يؤدي إلى إنكار الأخرى[7].

---

(1) المصدر السابق: 44 – 45.
(2) ينظر: التفسير والمفسرون: محمد السيد حسين الذهبي (ت: 1398هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة، بدون معلومات الطبع الأخرى: 2/ 392 -393.
(3) الهداية والعرفان للدمنهوري: 97.
(4) لا يقدح في وجه استدلالنا بهذه الآيات أن الاقتراحات التي اقترحها المشركون كانت على وجه التعنت والسخرية.
(5) ينظر: الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية لماذا؟ وكيف؟: محمد سعيد رمضان البوطي (ت: 1434هـ)، دار الفكر، دمشق- سورية، ط1، (1404هـ - 1984م): 137- 138.
(6) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين، وعباده المرسلين: مصطفى صبري (ت: 1373هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط2، (1401هـ - 1981م): 4/ 27.
(7) ينظر: المصدر السابق: 4/ 8 – 9.

الأنموذج الثاني: إنكار الغيبيات:

المراد بالغيب في القرآن الكريم كلُّ ما كان غائباً عن الحواس، من الإيمان بوجود الله، والملائكة، والجن، وغيرها[1]، وتقابله الشهادة، فهو ليس عبارة عن تصورات عقلية بحتة، لا وجود لها في الخارج، وإنما هي أمور موجودة ولكن غيّبت عن البشر، فالملائكة والعرش والجن والجنة والنار ليست أموراً معنوية متصورة، بل هي موجودة على الحقيقة[2].

ولا ريب أنَّ العقل وإنْ كان طريقاً لإثبات عالم الغيب فإنه قاصر عن الإحاطة بتفاصيله، لذا لم يكن مستغنياً عن هداية الوحي وإرشاده، والتلقي عنه، من هنا كان الإيمان بالغيب أساساً لرسالة الإسلام، وبنيت عليه معتقداته وتشريعاته[3]، قال ﷻ: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [البقرة: ٢ - ٥].

والحداثيون لهم وجهة نظرة أخرى في هذه القضايا في خطاباتهم، عكس ما ذهبت إليه الأمة الإسلامية بمختلف شرائحها وسار عليها طوال تاريخها فإنَّ الخطاب الحداثي له موقف مغاير تجاه هذه القضية[4]؛ إذ يرون أنَّ الإيمان أيضاً خاضع للتطور التاريخي، فإيمان ما قبل النقد التاريخي يختلف عن إيمان ما بعهده، إذ يعني هذا الأخير التعقل قبل الإيمان[5]، أما إيمان ما قبل الحداثة فهو إيمان ما قبل العلم، وما قبل التعقل، وبالتالي فهو إيمان السذج والبسطاء والعوام، لا المثقفين، إذ إنّ تفسيرهم للدين أكثر عقلانية، والمسلم يمكنه إنكار الجانب الغيبي في الدين، ويكون مسلماً حقاً[6].

ومعنى هذا أنّ الأمة الإسلامية وعلى رأسها النبي ﷺ ثم مَن بعده من الصحابة والتابعين وكبار العلماء من الأصوليين والمفسرين والفقهاء وغيرهم كانوا بسطاء سذجاً، وأن هؤلاء جميعاً قد آمنوا على أساس من الأساطير والخرافات لا العقل والبصيرة، وقد سبقت الإشارة إلى أنّ الإيمان يجب أن يكون مبنياً على يقين جازم وقناعة تامة نابعة عن الدليل والبرهان[7]، ويقضي هذا الإيمان أن يصدق المؤمن بكل ما أخبر به الله ﷻ في كتابه، أو ثبت في سنة رسوله[8].

وفي ظل هذه الرؤية الحداثية لقضايا العقيدة التي يشكل الغيب القسط الأكبر منها برزت قراءات جديدة لمفردات قرآنية تتناقض مع ما عرف بالمعلوم من الدين بالضرورة، والثوابت التي ينبغي أن لا يختلف فيه مؤمنان، فالإيمان-الذي هو أجلى الحقائق، وأحكم الثوابت، وأشهر من أن يعرف- عند (أركون- ت 1431هـ) يقبل فكرة موت الإله، أو غيابه عن العالم، مع اعترافه بصعوبة طرحها في العالم الإسلامي؛ إذ إنها غير مقبولة حتى بالنسبة لكثير من اليهود والنصارى العائشين في الغرب، فكيف بالمسلمين[9]؟

ويأتي (حسن حنفي- ت 1441هـ) بتفسير جديد للإيمان ويقول: " الإلحاد هو المعنى الأصلي للإيمان لا المعنى المضاد، والإيمان هو المعنى الذي توارده العرف حتى أصبح بعيداً للغاية عن المعنى الأصلي، إن لم يكن فقداً له... وهكذا يكون الإيمان تغطية وتعمية عن شيء آخر مخالف لمضمون الإيمان، ويكون الإلحاد هو كشف القناع، وفضح النفاق وتعرية الواقع"[10].

وهكذا تنقلب المفاهيم في ظل التفسير العقلاني المنفلت عن الضوابط لآيات القرآن الكريم، فيصبح الإيمان تعمية وتغطية، والإلحاد تعرية وكشفاً وفضحاً! وليته أورد دليلاً من القرآن الكريم، أو السنة النبوية، أو من أحد مصادر اللغة الشهيرة، على تفسيره هذا، أو ذكر مصدر هذه المعلومة.}

من جانبه ينكر (هشام جعيط- ت 1442هـ) ملائكية (جبريل) عليه السلام الذي نص الله ﷻ عليها في عدد من آيات القرآن الكريم، منها قوله ﷻ: {قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (97) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ} [سورة البقرة: ٩٧ – ٩٨]، ويقول: "الحقيقة أن هذا الكيان لا يمكن أن

(1) ينظر: كبرى اليقينيات الكونية، وجود الخالق ووظيفة المخلوق: محمد سعيد رمضان البوطي(ت: 1434هـ)، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط8، (1417هـ- 1997م): 301.
(2) ينظر: موقف الليبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين: صالح بن محمد بن عمر الدميجي، مجلة البيان، الرياض، ط1، (1433هـ): 627.
(3) ينظر: أصول الإيمان بالغيب وآثاره: فوز بنت عبد اللطيف بن كامل الكردي، رسالة مقدمة إلى قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية للبنات بجدة، لنيل درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية، تخصص العقيدة والمذاهب المعاصرة، بإشراف: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي (1426- 1427هـ): 27.
(4) ينظر: موقف الليبرالية في البلاد العربية لصالح الدميجي: 631.
(5) ينظر: قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم: محمد أركون (ت: 1431هـ)، ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، بدون معلومات الطبع الأخرى: 222.
(6) ينظر: في فكرنا المعاصر: حسن حنفي، درا التنوير، بيروت – لبنان، ط2، (1983م): 93.
(7) في أوائل الحديث عن العقلانية الإسلامية.
(8) ينظر: كبرى اليقينيات الكونية، للبوطي: 301، وما بعدها.
(9) ينظر: قضايا في نقد العقل الديني، لأركون: 207.
(10) التراث والتجديد لحسن حنفي: 62.

نسميه ملكاً، وصف في التكوير بأنه {ذِي قُوَّةٍ}، وفي النجم بأنه{شَدِيدُ الْقُوَى}، ولم يتنبه المفسرون والمترجمون إلى أنّ هذا الوصف هو ترجمة عربية لاسم جبريل، وللاسم الأصلي العبري جبرائيل، و (جبر) تعني القوة والقوي، و(إيل) هو الله بالعبرية القديمة"[1].

وهو بهذا التفسير المنبثق عن العقلانية المجردة يخالف جميع المفسرين، بل يتهمهم بالغفلة والجهل، ولم يبيّن الصلة بين قوة الله ونزول الوحي لتختص به دون غيره[2].

ولو أنه كمَّل آية التكوير آ{ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ} [سورة التكوير: ٢٠] لعلم أنْ ليس المراد بذي القوة هو الله، إذ يصبح المعنى حينئذ: قوة الله أو الله القوي عند الله مكين، كما أنه لو رجع إلى سياق الآية لعلم أنه أيضاً لا يؤيده؛ لأن الحديث فيه عن رسول كريم مطاع أمين في الملأ الأعلى.

ويبدو أن (هشام جعيط) نفسه قد شعر بالخلل في تأويله هذا، لذا حاول استدراكه، ولكن بما هو أغرب منه، فقال: "ولئن ينعت جبريل بشديد القوى فهو منبثق عن الله أو هو الله في مظهر قوته الخارجية"[3].

ويحاول (حسن حنفي) أن يقلّل من شأن الإيمان بالملائكة، ويزعم أنه لا يحتاج الإنسان لأن يكون مسلماً أن يؤمن بالملائكة والجن والشياطين، وغيرها[4]، وفاته أن القرآن الكريم يقول: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [سورة النساء من الآية: ١٣٦].

أما (أدونيس) فلا يكتفي بإنكار الغيبيات، بل يتبنى ما ذهب إليه (ابن الراوندي- ت 298هـ) من السخرية بالملائكة-والعياذ بالله-، ووصفهم بقليلي البطش مع كثرة عددهم، حيث لم يقدروا هم والمسلمون معاً على قتل أكثر من سبعين رجلاً من المشركين في غزوة بدر، ثم يتساءل على لسان (ابن الراوندي- ت 298هـ): "أين كانت الملائكة في يوم أحد لما توارى النبي ما بين القتلى فزعاً، وما باله لم ينصروه في ذلك المقام"[5]، ولا يخفى أن الاستهزاء بالملائكة وقدراتهم الخارقة ناشئ عن عدم الإيمان بهم.

وقد أجيب عن هذه الشبهة: بأن إنزال الملائكة كان مشروطاً بشرط الصبر والتقوى في المغانم والثبات في المقاعد، لكنهم لم يصبروا ولم يتقوا ولم يثبتوا، وخالفوا أمر الرسول ﷺ، ولا شك أن المشروط يفوت بفوات الشرط[6].

وهكذا، وانطلاقاً من حاكمية العقل على النقل يتردد موقف الحداثيين من المعجزات والغيبيات بين التأويل المتعسف لها، أو التقليل من شأنها، أو إنكارها.

الخاتمة:

في ختام هذا البحث توصلنا إلى عدة نتائج، نوجزها فيما يأتي:

1- تُشكل العقلانية أحد أبرز أسس الحداثة، وتعني تنظيم الحياة بمختلف جوانبها على هدي العقل، وإخضاع كل شيء لفحصه، فلا يخرج عن سلطته شيء، بما فيه المعتقدات والمقدسات.

2- من أهم مبادئ العقلانية: أن التجربة العقلية هي المرجع الوحيد للمعرفة في تفسير جميع الأشياء في الوجود، وكل ما يوجد من الظواهر عبارة عن تأويلات، والمعلومة أياً كانت لن تتصف بالثبات والأبدية واستحقاق التقديس، والتعالي عن النقد.

3- مع ما للعقلانية من الإيجابيات إلا أنها لم تنج من الانتقادات الفلسفية والفكرية، وأثبتت فشلها في إسعاد البشرية، بل عرضت البشرية للويلات والحروب، وجعلت مستقبلها في خطر داهم.

4- إنّ الإفراط في العقلانية أودت بها إلى الانحراف، والتدخل في أمور ليست من اختصاصها ولا في استطاعتها، منها: إقحام العقل في قضية الذات الإلهية والإحاطة بكنهها،...

5- لا يستقيم التعويل على العقل في صغير القضايا وكبيرها، فهناك من المسائل ما لا يستغني العقل عن الوحي في فهمه وإدراكه، فتوريط العقل في تفسيرها دون الاستعانة بالوحي تحميل له ما لا يحتمل، ولذا كثيراً مآ يأتي بنتائج خطيرة، مما يثبت أنه لا يمكن أن يستقل بأخذ زمام المعرفة في الكون.

---

(1) الوحي والقرآن والنبوة، لجعيط: 63.
(2) ينظر: موقف الليبرالية في البلاد العربية لصالح الدميجي: 725.
(3) الوحي والقرآن والنبوة، لجعيط: 64.
(4) ينظر: في فكرنا المعاصر لحسن حنفي: 93.
(5) الثابت والمتحول: أدونيس، دار العودة، بيروت، ط2، (1979م): 2/ 75، تأصيل الأصول.
(6) ينظر: مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير، أو تفسير الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، فخر الدين الرازي (ت: 606هـ)، دار دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، (1420 هـ): 8/ 350، والتحرير والتنوير -تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد -: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس (1984 هـ): 4/ 75- 76.

6- إن كان لظهور العقلانية أسباب ومبررات في الغرب، فإنّ تبنّيها-كما هي هناك-، وإسقاطها على جوانب الحياة المختلفة في العالم الإسلامي ولاسيما الجانب الديني غيرُ مبرر إطلاقاً؛ إذ القرآن الكريم نفسه من أعظم المحفزات لاستخدام العقل والاسترشاد بإرشاداته، كما أنه يرشد العقل فيما يعجز عنه.

7- إنّ التأويل العقلاني الحديث للقرآن الكريم أتى بنتائج خطيرة غير مسبوقة، تتناقض مع ثوابت الأمة، وما عرف من الدين بالضرورة، وخير دليل على هذا الأمثلة التي عرضها البحث من كتب الحداثيين، فقد ظهر أنه كيف أدى خطابهم الحداثي إلى إنكار الغيبيات والتعسف في التأويل؟ كما ظهر أنّ السياق الداخلي للنص والخارجي لا يؤيد ما ذهبوا إليه من تأويلات وقراءات غير دقيقة، والتي جاءت على ضوء الفلسفات الغربية، فضلاً عن انفلاتها من ضوابط التفسير الصحيح، وهذا يعني أنه لا يمكن توظيف تلك الفلسفات في النصوص القرآنية بمعزل عن شروط التفسير وضوابطه المعروفة.

References:

• The Holy Quran

1. Modern Rational Attitudes: Nasser bin Abdul Karim Al-Aql, Dar Al-Fadila, Riyadh, 1st ed (1422 AH, 2001 AD).

2. The Philosophical Foundations of Modernity: Sadr al-Din al-Qabbanji, Civilization Center for the Development of Islamic Thought, Beirut - Lebanon.

3. Islam is the sanctuary of all human societies. Why? And how?: Muhammad Saeed Ramadan Al-Bouti, Dar Al-Fikr, Damascus - Syria, 1st ed (1404 AH 1984 AD).

4. The Origins and Effects of Belief in the Unseen: Fawz bint Abd al-Latif bin Kamel al-Kurdi, a letter submitted to the Department of Islamic Studies, College of Education for Girls in Jeddah, to obtain a phd in Islamic studies, specializing in Islamic faith and doctrines, under the supervision of: Dr. Abdullah bin Omar bin Suleiman Al-Damiji (1426 - 1427 AH).

5. The Origins of Liberalism and Islam's Attitude towards it: Ahmed Muhammad Abd al-Karim al-Lahib, Madar al-Watan for Publishing, Riyadh, 1st ed (1436 AH 2015 AD).

6. The Origins of the Philosophy of the Right: Hegel, translated by: Imam Abdel- Fattah Imam, Dar Al-Tanweer, Beirut, 3rd ed (2007 AD).

7. Enemies of Modernity - Revisions of the Western Mind in the Crisis of the Thought of Modernity -: Muhammad Mahmoud Sayed Ahmed, Dar Al-alwaey, Riyadh, 1st ed (1434 AH).

8. Human, that unknown : Alexis Carrel, translated by: Shafiq Asaad Farid, Al- Maarif Library, Beirut - Lebanon, 1st ed renewed (1423 AH - 2003 AD).

9. Insight into religion and distinguishing the surviving sect from the doomed sect: Taher bin Muhammad Al-Asfarayeni, Abu Al-Muzaffar (D.: 471 AH), investigation: Kamal Youssef Al-Hout, Alam Al-Kutub, Lebanon, 1st ed (1403 AH - 1983 AD).

10. Liberation and Enlightenment - Editing the Right Meaning and Enlightening the New Mind from the Interpretation of the Glorious Book -: Muhammad al- Taher bin Muhammad bin Muhammad al-Taher bin Ashour al-Tunisi (D.: 1393 AH), the Tunisian Publishing House, Tunisia (1984 AH).

11. Heritage and Renewal: Hassan Hanafi, University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, Beirut - Lebanon, 4th ed (1412 AH 1992 AD).

12. Introducing scholars to the approaches of commentators: Salah Abdel-Fattah Al-Khalidi, Dar Al-Qalam, Damascus, 3rd ed (1429 AH 2008 AD).

13. Interpretation and Interpreters: Muhammad Al-Sayyid Hussein Al-Dhahabi (D.: 1398 AH), Wahba Bookshop, Cairo.

14. The Constant and the Transformed by Adonis, Dar Al-Awda, Beirut, 2nd ed (1979 AD).

15. Al-Banani's footnote on collection of the collections: Taj al-Din Abd al-Wahhab Ibn al-Subki, Kurdistan Intisharat, Sanandaj, 1st ed (2020 AD).
16. Modernity between rationality and irrationality, the collapse of the claims of modernity: Azza Al-Sayyed Ahmed, Dar Al-Fikr Al-Falfisi, Damascus, 2nd ed (1999 AD).
17. Technology Hoax: Jack Ellul, T: Fatima Nasr, Dar Sotoor.
18. In Defense of Reason and Modernity: Muhammad Sabila, Al-Zaman Publications, Dar Al-Baydaa - Morocco (2003 AD).
19. Rationalism and its criticisms: Muhammad Sabila, and Abdel Salam Benabd Alali, Dar Toubkal Publishing House, Dar Al-Baydaa - Morocco, 2nd ed (2006 AD).
20. Intellectual Invasion: Illusion or Reality?: Muhammad Emara, General Secretariat of the Supreme Committee for Islamic Call in Al-Azhar, Rose Al- Youssef Press, (2003 AD).
21. The Philosophy of Science from Rationalism to Irrationality: Karim Musa, Dar Al-Farabi, Beirut - Lebanon, 1st ed (2012 AD).
22. Our Philosophy: Muhammad Baqir Al-Sadr, Dar Al-Ta'rif for Publications, Beirut, 3rd ed (1430 AH 2009 AD).
23. On the Prophet's Biography, Revelation, the Qur'an, and Prophethood: Hisham Jait, Dar Al-Tali'ah, Beirut - Lebanon, 2nd ed (2000 AD).
24. In Our Contemporary Thought: Hassan Hanafi, Dar Al-Tanweer, Beirut - Lebanon, 2nd ed (1983 AD).
25. Issues in Criticizing the Religious Mind, How Do We Understand Islam Today: Muhammad Arkoun, Translated by: Hashim Saleh, Dar Al-Tali`ah, Beirut.
26. The Greatest Universal Certainties, The Existence of the Creator and the Function of the Creature: Muhammad Saeed Ramadan Al-Bouti, Dar Al-Fikr, Damascus - Syria, 8th ed (1417 AH 1997 AD).
27. Brilliant lights and shining archaeological secrets to explain the golden glow in the pathological band knot: Shams al-Din, Muhammad bin Ahmed bin Salem al-Saffarini al-Hanbali, Abu al-Awn (D: 1188 AH), Al-Khafiqin Foundation and its library, Damascus, 2nd ed (1402 AH - 1982 AD).
28. Contemporary Intellectual Doctrines: Muhammad Qutb, Dar Al-Shorouk, Cairo, 7th ed (1413 AH 1993 AD).
29. The Comprehensive Dictionary of Philosophy Terms: Abdel Moneim Al- Hefny, Madbouly Bookshop, Cairo, 3rd ed (2000 AD).
30. Fallacies: Muhammad Qutb, Dar Al-Shorouk, Cairo - Egypt, 2nd ed (1427 AH 2007 AD).
31. Keys to the Unseen, or the Great Interpretation, or the Interpretation of Al- Razi: Abu Abdullah Muhammad Bin Omar Bin Al-Hassan Bin Al-Hussein, Fakhr Al-Din Al-Razi (D: 606 AH), Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, Beirut, 3rd ed (1420 AH).
32. From Faith to Revolution: Hassan Hanafi, Madbouly Library.
33. Encyclopedia of Basic Concepts in Human Sciences and Philosophy: Muhammad Sabila and Noah Al-Harmouzi, Al-Mutawasit Publications, Rabat - Morocco, 1st ed (2017 AD).
34. The Easy Encyclopedia of Contemporary Religions, Sects and Parties: The International Symposium of Muslim Youth, supervised by: Dr. Manea bin Hammad Al-Juhani, Dar Al-Nadwa Al-Alamiya, 4th ed (1420 AH).
35. The Attitude of Reason, Science, and the World to the Lord of the Worlds, and His Servants, the Messengers: Mustafa Sabri, Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Beirut - Lebanon, 2nd ed (1401 AH 1981 AD).

36. The position of liberalism in the Arab countries on the provisions of religion: Saleh bin Muhammad bin Omar Al-Damiji, Al-Bayan Magazine, Riyadh, 1st ed (1433 AH).
37. Guidance and gratitude in the interpretation of the Qur'an by the Qur'an: Muhammad Abu Zaid al-Damanhouri, Mustafa al-Babi al-Halabi Press, Egypt, (1349 AH)